

فكر مولود قاسم : أصوله الفلسفية ومدى إسهامه في بعث الصّحوة والفكر الإسلاميين المعاصرين

د/ عبد اللطيف عبادة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف
المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أيها الإخوة السلام عليكم ورحمة الله وبعد يشرفني أن أحدثكم عن
فكر مولود قاسم : أصوله الفلسفية ومدى إسهامه في بعث الصّحوة
والفكر الإسلاميين المعاصرين بدعوة من المجلس الإسلامي الأعلى الذي
نشكر له دعوته واختياره لموضوع الملتقى المتميز، ورجائي أن أكون عند
حسن ظنكم والله الموفق للصواب.

مقدمة

السيد مولود قاسم من مناضلي الجزائر وساستها ومفكرها، ارتبط اسمه
بالإنية والأصالة التي لا يخفى أنه استوحاها من ثقافته الفلسفية الواسعة من
ابن سينا وفيخته وعثمان أمين والإنية شعور سام لدى الإنسان بوجوده

وبتميزه على الغير والأصالة هي شعور الإنسان واقتناعه العميق بانتسابه إلى مجموعة بشرية هي أمته وإلى أديم هي بلاده وتشبعه بتصورات ومفاهيم وأفكار انحدرت إليه من الأسلاف في أعماق التاريخ ويبلغها إلى الأجيال على مر الزمن ويكون هو على مستواه حلقة أو حلقة في تلك السلسلة المحكمة الحلقات التي بانفصام حلقة منها ينتثر العقد وينمحي الوجود وهذه الأصالة إذ تفرض على الإنسان أن يكون هو هو غير بجثث الأصول بل يضرب بجذوره في الأعماق تستلزم في الوقت نفسه خلق سياج والمشاركة في الوجود وأخذ حظّه كاملا من الضوء والأكسجين اللذين هما إكسير الحياة أي أنه إذ يبقى عالقا بأصله محافظا على عناصر ذاتيته ومكونات شخصيته يواكب الوجود في الوقت ذاته ويساهم في المسيرة الإنسانية ويتمثل مع الغير ما ينسجم وتكوينه ليبقى عضوا من مجموعة ومتميزا عنها هذه هي الأصالة كما أتصورها وأفهمها... وهي تتعارض مع الانسلاخ والذوبان في الغير... كما تتنافى مع الجمود والانغلاق.¹

إن هذه الأفكار النيرة إذا وضعت في سياقها التاريخي الذي يمتد من المقاومة العسكرية للاحتلال إلى الحركة الوطنية والإصلاحية إلى ثورة التحرير إلى ثورة البناء والتشييد تطرح علينا مجموعة من الأسئلة : هل كان الاحتلال مهمة تحضيرية أم كان مدا صليبيا حاقدا ؟ هل كانت الجزائر قبله دولة ذات سيادة وذات تاريخ عريق أم كانت مجموعة قبائل

1. مولود قاسم. أصالة أم انفصالية، ج. 1، ص. 91.

فكر مولود قاسم : أصوله الفلسفية...

بلا تاريخ ؟ لماذا حرص الشعب الجزائري على الجمع بين المطالبة بالاستقلال والتمسك بمقومات شخصيته الوطنية ؟

لقد حرص مولود قاسم على التأكيد على أن سر تمسك الأمة بوحدها عبر التاريخ ومقاومتها للذوبان يرجع إلى حرصها على الدفاع بشراسة عن مقومات إنيتها وأصالتها وإن تجاهل البعض القليل هذه المقومات وفتشوا عنها في المقابر فلم يجدوها! غير أن المؤمنين الواعين لم يشكوا فيها لحظة واحدة ولم يرضوا بالذوبان والاندماج أليس هذا ما جعل مولود قاسم أكثر إصرارا على الإنية والأصالة مع التفتح والعالمية ؟ أليس هذا ما جعله يعتقد أكثر أن التفتح على الغير أخذ وعطاء ؟ فالحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها التقطها وأخذها والشهادة على الناس والتبليغ عطاء وعطاء مسئول عند الأهلية للعطاء والتفتح لا يستلزم إلغاء الذات كما أن الأصالة لا تستلزم إلغاء الغير "ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان" قناعة مشتركة بين ابن باديس وبين مولود قاسم لأن العروبة بدون إسلام جاهلية كما يقول مولود قاسم ذاته.

لذلك لا ينبغي أن نؤكد على ما يفرق بل ينبغي أن نؤكد على ما يجمع وعلى ما جمعنا قرونا طويلة وهو الإسلام وعليه قال مولود قاسم قولته المشهورة : "أمة أو أميمة ؟ والعروبة بدون إسلام جاهلية." ولذلك اقتضت حكمة ابن باديس أن يقول : "شعب الجزائر مسلم...." وصدق ابن باديس عندما قال هذه الكلمات التي كتبها مولود قاسم بالحروف الكبيرة : "لا يمكن أن ينفع أي أحد نفسه ولا

أمته ولا البشرية ما دام مهلامشتتا لا يهديه علم ولا يمتنه خلق ولا يجمعه شعور بنفسه ولا بمقوماته ولا بروابطه... وإنما ينفع المجتمع الإنساني من تمسك بمقوماته ومد يده لبناء المستقبل يتناول من زمنه وأمم عصره ما يصلح لبنائه"¹.

إن الإنية والأصالة مع التفتح والمعاصرة لم تكن قضية مولود قاسم لوحده بل كانت قضية ابن باديس ومالك ابن نبي من قبله ولكن السياق التاريخي الدقيق جعل مولود قاسم يعيد الكرة في رسم النظرية بأسلوب آخر يدل على البراعة والحماس وعمق الوعي.

والأمر الذي جعل مولود قاسم موفقا في طرح مشكلة الإنية والأصالة بشكل جديد وشيق هو تبنيه للمنهج والثقافة الفلسفيين ما الذي أكسبته الفلسفة إلى جانب شحذ الذهن وملكة الحجج ؟ كانت الفلسفة بالنسبة إليه القلب والمفاهيم ولكن ما هو الهدف من وراء استعمال هذا القلب وتلك المفاهيم ؟ أليس ترشيد الدعاة والدعوة وتوجيه الصحوه وإحياء الفكر الإسلامي هو الغرض من استعمال الرصيد الفلسفي الذي استوعبه ؟ ألم يكن الغرض الأبعد هو الارتفاع بالمسلم إلى مستوى سمو الإسلام لا إنزاله إلى مستوانا المزري ؟

لكن الموضوع المفضل الذي يجمع بين سائر المباحث التي درسها مولود قاسم هو التاريخ الذي يلقي الضوء على مقومات الأمة وعراقتها ألم يكن الغرض إذن من الزج بالتاريخ في إشكالية الإنية والأصالة مع

1. نفس المرجع. ص. 9.

فكر مولود قاسم : أصوله الفلسفية...

التفتح والمعاصرة هو استخلاص العبر والتنديد بتزوير الحوادث التاريخية أو التغني بأبجاء الأسلاف ؟

أليس السياق التاريخي هو الذي فرض على مولود قاسم أن يركز على الدين واللغة وحب الوطن والتاريخ المشترك إذ بدونها لا تكون الأمة أمة أصلا.

1. مولود قاسم المفكر

إنّ السيّد مولود قاسم نابت بلقاسم مفكر جزائريّ أصيل لا نفهمه إلّا في السّياق التاريخيّ الذي كان يعيش فيه وبالرجوع إلى ثقافته الفلسفيّة التي ساعدته على نقد الأوضاع التي كان يعيش فيها وعلى شحذ ذهنه وصياغة الحجج التي يبني عليها فكره ويواجه بها خصوم حضارته وقناعاته.

فالسّياق التاريخيّ هو مرحلة أواخر الثورة التحريريّة وما بعد الاستقلال ولكنّا لن نتعرّض لهذا السّياق لأنّه خارج عن موضوع بحثنا إلّا من حيث علاقته بمفهوم مولود قاسم للتاريخ والدّولة ودور المفكر والإنّيّة والأصالة والمعاصرة واللّغة ودور المفكر في المجتمع.

2. مصادره الفلسفية

والسّؤال الذي يطرح نفسه علينا بالحاح في هذا البحث يتعلّق بمصادر مولود قاسم الفلسفيّة التي استلهمها في بناء نسقه الفكريّ.

لقد أثار المفكرون الألمان في إرساء أسس فكره سلبا وإيجابا. ومن الذين تأثر بهم في رسم معالم نظريته فيخته لماذا فيخته بالذات دون غيره ؟ لأنه كان يعيش ظروفًا مثل تلك التي يعيشها المفكر المسلم الحريص على إنيتته المتمسك بمقوماته والمتطلع إلى استنهاض أفراد أمته لأن فيخته توجه بنداثة الشهير إلى الأمة الألمانية في شكل محاضرات ألقاها في جامعة برلين في صميم الأزمة التي كان يتخبط فيها الشعب الألماني فيما بين 1800-1814 وهو تحت كابوس نابوليون معارضا لبعض أبناء جلدته من المفكرين الذين ارتقوا على أعتاب نابوليون ومساندا البعض الآخر الذين عارضوا احتلال نابوليون لبلادهم. وماذا يريد مولود قاسم من فيخته غير لبّ مذهبه المرتكز على الأعمدة الثلاثة التي تقوم عليها الأمة وهي الدين واللغة وحبّ الوطن.

وذلك لأنّ مولود قاسم كان يريد لبلاده شبابا متمسكا بدينه وحافظا لمقومات شخصيته واعيا لإنيتته وأصالته وفخورا بتعلقه بذلك كلّ لا مباهايا بتقصيره فيه وبتجرّده عنه ومن لم يع مثل تلك الظروف القاسية التي عاشتها الجزائر بعد الاستقلال إلى أواخر السبعينيات لا يستطيع أن يفهم هذا التأكيد الكبير على مقومات الإنيتة والدفاع المستميت عنها.

كيف السبيل إلى إحياء حضارتنا فعليا ؟ يكون ذلك بإحياء تراثنا وإثرائه بإضافة نتائج جهودنا حتّى لا نبقي نعيش عالة على الأسلاف ويكون بإحياء لغتنا الفصحى واستعمالها في التعليم ويكون بتلقيح أذهاننا بلغات غيرنا دون الانغلاق على أنفسنا.

يذكرنا مولود قاسم باحتقار "فخته" لما بذله بعض أسلافه من جهد لتقليد الرومان والاندماج فيهم نتيجة لمركب النقص والتعلق بهم

وأصبحوا ينظرون إلى تراثهم على أنه رمز التأخر والبدائية والهمجية فيقول : "مساكين أولئك المندمجون الهاربون من أصلهم اللاجئون إلى أعدائهم وهذا مرض عميق في نفوسنا نحن الألمان حتى جاء "مارتين لوتير" فأحيا الألمانية من جديد وبعث فيها النشاط والقوة وأرجع لها مكانتها وأصلاتها."¹ ويضيف في مكان آخر : "وإن هذا المرض مرض التهافت على كل ما هو من الخارج لدى طائفة من مواطنينا هو أصل جميع مصائبنا."²

وبناء عليه يعلق مولود قاسم على اعتراض البعض باسم التقدمية أو الحداثة على أنه تعلق بالشكليات كاللغة والعادات والأعياد فيقول : "إنها جزء من تراثنا الثقافي والروحي وارتباطنا بالتاريخ، وهو شيء مهم جدا لكل أمة تحترم نفسها وتريد أن تحترم". ويخاطبهم بقول أكثر وضوحا : "إن غلواءكم في التضحية بما تسمونه الشكليات كالتعريب والجمعة والعادات القومية قد يحولنا إلى مجموعة أشكال بدون روح"³

ونجد في فقرة هكمية صدى للنداء "الفيختوي" يقول فيها : "لماذا يريد العالم الإسلامي اليوم اللحاق بغيره وحفظ نفسه بحاضره ومستقبله وأمسه أي أن يكون وليد عصره مع البقاء على أديم مصره دون أن يصبح نسخة غيره، وأن يعمل لذلك ليلا نهارا وألا يبكي نادبا منهارا ؟ أم هو كمستبدل القبعة بالطربوش وبالعمامة. فزاد على جهل رأسه غمامة، وصار لأوروبا مثل القمامة. ففقد كل فضائل أجداده، وأراد عنهم فصل أحفاده ولم

1. نفس المرجع. ج. 2، ص. 372.

2. نفس المرجع، ص. 373.

3. مولود قاسم. إنية و أصالة، ص. 206.

يكتسب من أوروبا مزايا أنداده إنه لم يأخذ من الغرب إلا المصائب، إلى ما لديه من النوائب. فأنعدم لديه كل الخير وأضاف إلى شره ما للغير فجن وكاد أن يدخل الدير إذ اختلط عليه كالغراب السير! إنه فقط قطع الحسب ولم يعوضه ولا بالنسب ولا شيئا جديدا كسب"¹ وتذكرنا هذه الفقرة المكسوة بالتهكم المر بصفحات أخرى كتبها مالك بن نبي في مجموعة من كتبه تحت عنوان الأفكار الميتة والأفكار القتالة بصدد حديثه عن طرق الاقتباس من الغير للتخلص من الانغلاق الميت دون أخذ ما هو قاتل من الحضارات الأخرى سواء وجد في مزبلة أو في مقبرة (سواء كانت أفكارا مستوحاة من الغريزة أو أفكارا مجردة) وهو ما يذهب إليه فيخته: "إن هذا الفسخ والمسخ لروحنا وإن هذا المحو لشخصيتنا وإيتنا وإن هذه التبعية العقلية والعاطفية للأجنبي وهذا الانسلاخ عن الشعب كل هذا يؤدي إلى حب التقليد للأجانب وترك الشعب بعيدا بل يؤدي حتى إلى خيائته وغدره وصراخ في وجهه إذا ما نادى للرجوع إلى أصله واحترام أصالته!"²

ما الذي يرسم صرح الأمة إذا أصبحت غثاء كغثاء السيل وإذا تداعت الأمم عليها كما تداعى الأكلة على قصعتها؟ إنه الدين لا شك. وهذا لا يختلف عليه اثنان وإن اختلفوا على مفهوم الدين وعينه. وقد ذهب فيخته إلى القول: "بأن تربية الشعب على التمسك بالدين والأخلاق هي أساس كل حكومة، أن تؤسس معهدا دائما لهذه التربية الدينية، وهذا المعهد جزء من مؤسسات كل دولة وحكومة طيلة دوامها."³

1. مولود قاسم. أصالة أم انفصالية، ج. 1، ص. 64 و65.

2. نفس المرجع، ج. 2، ص. 374.

3. نفس المرجع، ص. 368.

فكر مولود قاسم : أصوله الفلسفية...

وقد لمس مولود قاسم هذا الفراغ الروحي لدى الناس في كل أرجاء العالم وخاصة لدى الشباب وبصفة أخص في العالم المصنع الذي انغمس شبابه في الماديات لذلك نراه كما يقول مولود قاسم : "يعاني فقرا مدقعا في الروح وحاجة ملحة إلى الطمأنينة وإحساسا مقضيا بانعدام الاستقرار، بسبب فقدان تلك التغذية الروحية التي فطم منها باسم شعارات وصيغ يطلقها سماسرة الفكر ويثبثها المتاجرون بالأرواح كالأفيون، ولها فعل الأفيون ضد ما وصفه أحدهم بالأفيون وهو الدين (يقصد هنا كارل ماركس) ويتلقفها سذج وغفل ومساكين تلقف الأعمى يجعل منهم الآلات الطيعة وعمى البصيرة والدمى المتحركة تلقائيا والمتنقلة اصطناعيا".¹

3. مقومات الأمة

إن الشيء الإيجابي الذي استفاده مولود قاسم من فيخته هو :
- إنَّ الروح الدينية ينبغي أن تحثنا على رفض عبوديتنا لغير الله وأن تحررنا ولا تترك الطغاة يستغلون الدين لإخضاع الناس.
إنَّ اللغة الأصيلة هي رمز وجود الأمة وبقدر أصالة اللغة والمحافظة عليها أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعبا أصيلا أو مجرد أشتات فحسب لأن اللغة هي التي تكون الإنسان وليس العكس وهي تؤثر فيه وليس العكس فهي صدى روح الأمة وهي التي تجعل الإنسان من هو.

1. نفس المرجع، ص. 135.

أشاد فيخته بفضل اللغة فاعتبرها رمز وجود الأمة وهي التي تكون الإنسان وهي الطبيعة الإنسانية والوطنية المشتركة وهي القوة الطبيعية العارمة التي تتدفق تلقائيا وتؤثر في الإنسان وفي الشعب المتحدث بها تأثيرا لا حد له ولذلك فهي قوة الأمة والويل كل الويل لمن فقد لغته لأنه بذلك "يفقد الخيط الذي يوصله بالأجداد ويفقد معها حلقات ماضيه ويشعر معها بفجوة عميقة حقيقة في تطوره ينقطع عن أصله... فيسقط في أعماق الذوبان والانمحاء واللاوجود لأن اللغة الأصلية هي الحياة والتي تمتد بالحياة، ولأن الأمة المغلوبة التي تفقد لغتها تندمج وتذوب في جنس الغالب".¹ ويقتضي القانون الاجتماعي الذي ضمنه ابن خلدون مقدمته المغلوب مولع دائما بتقليد الغالب. وكان جمال الدين الأفغاني أقدر على التعبير عن أهمية اللغة عندما قال: "لا سبيل إلى تمييز أمة عن أخرى إلا بلغتها، وهذا الأمر من الوضوح والظهور للعيان بما لا يحتاج معه إلى دليل أو برهان".²

- لذلك وجه مولود قاسم ندائه إلى الأمة الجزائرية لتتجند لخدمة لغتها ونشرها بكل ما أوتيت من قوة: "وبذلك فقط نكون قد دخلنا في المرحلة الفاصلة الحاسمة لتحقيق هدفنا هذا المتمثل في استرداد هذا العنصر الأساسي من شخصيتنا كما كان يقول "فيخته" هذه الأصالة القومية، هذه الرابطة الوطنية المعززة والضامنة لوحدة الأمة ألا وهي لغتنا التي نساهم في إطارها في الجهد الحضاري الإنساني المشترك والتي هي رمز شخصيتنا، وعنوان حياتنا ولساننا الذي نفصح به عن وجودنا بين الأمم".³

1. نفس المرجع، ص. 371.

2. مولود قاسم. إنية وأصالة، ص. 77.

3. نفس المرجع، ص. 91 و92.

- إن الدين هو العنصر الدائم لحياتنا الروحية العليا وحب الوطن هو العنصر الدائم والأساسي لحياتنا المدنية كمواطنين.

وأهم ما جاء في نداء "فيخته" إلى الأمة الألمانية : "أيها المواطنون قوموا ودافعوا عن بلادكم وشخصيتكم ولغتكم وأنقذوا أصالتكم ولغتكم واسترجعوا حريتكم ولا تلحقوا بها العار والشنار" وهو هنا يسير عكس اتجاه "جوته" و"همبولدت" و"موللر" و"هيجل" الذين هلّلوا لاحتلال "نابوليون" لألمانيا ويساند "بتهوفن" و"شيرلر" في مقاومتهم لهذا الاحتلال. ومن نافلة القول أن نذكر بأن مولود قاسم يركز على حب الوطن وهو ابن الحركة الوطنية والإصلاحية معا وهو أحد صناع الثورة التحريرية التي شغلته عن إنحياز أطروحته في فلسفة المعتزلة كما يذكر وقد قرأ لـ "فيخته" فقرة معبرة يقول فيها : "إن الوطني هو الذي يعمل على تحقيق هدف الإنسانية قبل كل شيء في أمته التي هو عضو منها إن الوطن خالد هذا الوطن الأرضي الحسي الذي نحن فيه، وإن الذي لا يحب وطنه ليس له وطن وإني لأرثي كل الرثاء لمن لا وطن له! إن الذي يريد الخلود لنفسه لا بد أن يريده لوطنه وإن الوطن لخالد والذي يريد الخلود لوطنه إرادة حقّة يدركه لا محالة!"¹

ومن حبه لوطنه أشاد بالثورات المتسلسلة ضد المحتلين الرومان والفرنسيين وأشاد بإسهام الجزائر في الحضارة والفكر الإسلاميين وأكد بأن الجزائر كانت دولة كاملة الأركان قبل الاحتلال الفرنسي لها معاهدات وميزانية وعلاقات تجارية وخارجية ومكانة بين الأمم وهيبة بين الدول كما يدل على ذلك كتابه "شخصية الجزائر الدولية".

1. نفس المرجع، ص. 63.

4. الإنية والأصالة

إن الحصن المنيع في نظر مولود قاسم للغزو العسكري والفكري هو الإنية والأصالة مع المعاصرة والتفتح دون المساس بمقومات الشخصية.

إنّ هذه الإنية والأصالة استوحاها مولود قاسم من ثقافته الفلسفية :
- من "فيخته" كما أسلفنا.

- من ابن سينا صاحب برهان "الرجل الطائر" الذي ينتزع منه جسمه ولا يبقى في تلك اللحظة إلاّ الوعي الحادّ بوجوده وشعوره بذاته المتميّزة القائمة بذاتها، المستقلّة عن غيرها وهذا هو أصل الكوجيتو الديكارتيّ المعروف : "أنا أفكر إذن أنا موجود" يرجح عثمان أمين أستاذ مولود قاسم في كتابه "محاولات فلسفية" أن يكون "ديكارت" قد اطلع على كتاب "الشفاء" وكتاب "الإشارات والتنبيهات" لابن سينا اللذين ترجما إلى اللاتينية من خلال كتابات "غيوم الأوفري" ومهما يكن من أمر فإننا نجد شباها كبيرا بين الإنية السينوية والكوجيتو الديكارتي والمقارنة المتأنية بين النصوص السينوية في الشفاء والإشارات والتنبيهات والنصوص الديكارتية في "مقالة في المنهج" وفي "التأملات" وفي "مبادئ الفلسفة" تسمح لنا في نظر عثمان أمين أن نستنتج أن الفيلسوفين كليهما قد بذلا مجهودا نافعا لبيان حقيقة تدق على أفهام الكثيرين وهي أن النفس جوهر روحاني غائب على الحواس والأوهام كما يقول ابن سينا وأنها مستقلة عن

فكر مولود قاسم : أصوله الفلسفية...

الجسم استقلالا تاما حاسما كما يقول "ديكارت"¹ وقد أشار مولود قاسم إلى هذه الفكرة في الكثير من مقالاته اقتداء بأستاذه².

لم يكن ابن سينا و"فيخته" وحدهما مصدر هذه الفكرة العبقريّة بل يرجع شيء من إلهامه إلى تمسّك الأمة الجزائرية بإثنتها بالرغم من الزوايع العاتية التي كادت تأتي على أسسها وإلى حرصها على مقاومة جميع الأمراض الاجتماعية والآفات المستوردة إلينا الغريبة عنّا وكان ذلك بدافع من الذود عن الإثنية والأصالة ويرجع كذلك إلهامه إلى حركة النهضة وعلى الأخصّ إلى ذلك "القمقام" كما يلقّبه (مولود قاسم) السيّد جمال الدين الأفغانيّ.

5. تأثيره بعثمان أمين

ولكنّ ملهم مولود قاسم الأكبر والمبجّل هو أستاذه عثمان أمين صاحب "الجوانية" التي يلخصها مولود قاسم : "في الإثنية أو المطابقة التامة لجذور الأنا والمحافظة على جميع جذور الذاتية والمتمسّكة بسائر مكونات الشخصية مع الاستفادة بعد ذلك وبعد ذلك فقط، ممّا يتلاءم مع تلك الإثنية لدى الغير ومع التعبير عن ذلك كلّ من عميق النفس ومن وحي الذات الواعية" الجوانية" ويحرص مولود قاسم على الانتماء إلى التيار الذي رسم معالمه أستاذه فيقول : "هذه الفكرة تقريبا هي التي حاولنا تلخيصها في كلمة واحدة هي الأصالة وسبق لنا تحديدها بالصيغة الآتية : "أن يكون

1. د. عثمان أمين. محاولات فلسفية، ص. 221 و222.

2. مولود قاسم. أصالة أم انفصالية، ج. 2، ص. 327.

الإنسان ابن عصره مع البقاء على أديم مصره ودون أن يصبح نسخة غيره" وهذه الفكرة قد أخذها عثمان أمين عن ابن سينا كما أسلفنا إن عثمان أمين يرى أن الحقيقة يجب أن تلتبس وراء المظهر الخارجي فالمظهر هو البراني وما وراءه هو الجواني ولذلك فـ "الجوانية" لديه سعي دائم حثيث لتزكية الوعي الإنساني أي لتزكية العقل والقلب والروح ومحاولة موصولة لتحري الأصالة ومجاوزة المظهر للنفاذ إلى المخبر واستعمال الخارج لاستجلاء الداخل والحرص الدائم على رؤية الأشخاص والأشياء رؤية روحية أي الالتفات إلى المعنى والكيف والماهية والقيمة من وراء اللفظ والكم والعيان¹.

6. التفتح والمعاصرة

فالإتيّة هي شعور سام عند الإنسان بوجوده كإنسان وبتميّزه عن الغير والأصالة هي شعور الإنسان أواقنتاعه العميق بانتسابه إلى مجموعة بشرية هي أمته وإلى أديم هي بلاده وتشبّعه بتصورات ومفاهيم وأفكار وصلت إليه من الأسلاف في أعماق التاريخ ويبلّغها إلى الأجيال على مرّ الزمن وتفرض على الإنسان أن يكون هو هو غير مجتثّ الأصول بل له جذور وأسس يواكب الوجود في الوقت ذاته ويساهم في المسيرة الإنسانية وتتعارض الأصالة مع الانسلاخ والذوبان في الغير كما تتنافى مع الجمود والانغلاق والسؤال الذي يطرح نفسه على فيلسوف الإنية والأصالة هو كيف نكون أبناء عصرنا مع البقاء على أديم مصرنا دون أن نصبح نسخة غيرنا ؟

1. محاولات فلسفية، ص. 27 و28.

يطمئئنا أولاً أن هذا لا يتحقق إلا بالابتكار المتواصل والتجديد المستمر مع المحافظة على الأصل والتميز الواضح فالمطلوب منا عند الاقتباس هو أخذ الصالح وترك الطالح والتأثير في مجريات التاريخ والحضارة بقدر الإمكان وبعبارة موجزة فإن المطلوب هو الإبداع لا الاستنساخ "فالأصالة ليست الجمود في المكان والجمود في الزمان والتفوق حول النفس والانغلاق عن الغير والتوقف عن السير والتخلف عن الركب العالمي بل هي الزحف إلى الأمام والبروز إلى فوق والضرب بالمنكبين ورفع الراية عالية لتنبئ عن الوجود المتميز المزاحم"¹.

تتضمن الإنية والأصالة بالضرورة التفتح والعلمية والتجديد والمعاصرة والقفز نحو العالمية مع إضاعة الأصالة يؤدي إلى الضياع حتماً وإلى فقدان الأسس والمرتكزات التي تحتاج إليها الأمة لتستند إليها كما تحتاج إلى سقف حصين تحتمي به².

ويستمر مولود قاسم في عرض نسقه موضحاً "إن التجديد أو الأخذ بإيجائيات العصر أو المعاصرة السليمة بحيث يكون الإنسان ابن عصره مع البقاء على أديم مصره ودون أن يصبح نسخة غيره هو ما نقصده بالأصالة... فإذا فتحنا نوافذنا واسعة تجنبنا الاختناق... ونفذ إلينا النور بدون انقطاع. وإذا حافظنا مع ذلك على سقوفنا ورفوفنا اتقينا الهزات والزوابع ونجونا من حارها وقارها... وبهذا فقط نكون قد وفرنا لأنفسنا الضوء والأكسجين

1. إنية وأصالة، ص، 12.

2. نفس المرجع، ص. 12.

الضرورين اللذين هما إكسير الحياة لكل كائن حي وحمينا أنفسنا بسياج الحصانة التي هي ضمان الدوام وشرط الاستعصاء على الحدثان"¹.

7. التهكم مولد للحقيقة

يعرض علينا السيد مولود قاسم "الإنية والأصالة" في أسلوب تهكمي أشبه بأسلوب "سقراط" : "أ نيام في خيام ألا من قيام ؟"، "أ تبقى الأمة غمة ؟" "ألحق أساطين أم ملاعين وشياطين ؟" "أستهلاك أم هلاك ؟" "عمائم أم غمائم ؟" كان الغرض منه تحريك الهمم وتنبية الغافلين، لأنّ التهكم من أكبر الأساليب المولدة للحقيقة. ففي مداخلته تهكمية بعنوان "عمائم أم غمائم ؟" بين مولود قاسم أن الغرض من حديثه ليس الخط من قيمة العلماء الذين يرتدونها رفعا لكل لبس ولكن "التفرقة بين من يضم حكمة الشيوخ المحنكين واندفاع الشباب المجدين وحماسهم وكل ما يتصل بهم من إيجابيات ومن هو ميت جامد يثبط الغرائم وينفر من الدين بمجرد وجوده قبل أن يتكلم والأحسن أن لا يتكلم" وطلب من أصحاب العمائم من العلماء أن : "يبدلوا جهدا أكبر للتقرب من الشباب حتى لا ينفروهم والعمائم ندين لها بالكثير ونحترمها وإنما نريد منها شيئا من الحركية نفحة من الاجتهاد حسب أصول الفقه وطبقا لمقاصد الشريعة ووفقا لمصلحة الأمة"² وهذا ما يقصده مولود قاسم من التفتح وعدم الجمود والحمود حتى تتمكن من مواكبة عصرنا دون الذوبان في غيرنا.

1. نفس المرجع، ص. 17.

2. نفس المرجع، ص. 477 و480.

8. دور الفكر في المجتمع

وإنّ مولود قاسم إذ يشيد بالفلاسفة المسلمين وإذ يذكّرنا باهتمام عثمان أمين بهم وبعدم الانسياق وراء كلّ ما هو غربيّ يوضّح دور الفكر في المجتمعات الإنسانيّة وفي المجتمع العربيّ الإسلاميّ.

يؤكد مولود قاسم أنّ الفكر الذي يوجّه الأمتّة الإسلاميّة ليس الفكر الجاهليّ ولا الفينيقيّ ولا الفرعونيّ ولا الأمازيغيّ ويجمع شملها المشتّت الفكر الإسلاميّ وإنّ الشّعوب إذا لم يوجّهها العلماء فسيوجّهها ويرشدها أو يضلّها غير العلماء¹. وهو يعتمد هنا على كتاب فيخته "من واجبات العلماء" : "إنّ الكاتب يريد أن يفكر أصالة ويستمدّ أفكاره من جذور الحياة الرّوحية لشعبه، يفكر أصالة للذين يعملون أصالة أي يحكمون البلاد ويسيرون تلك الشّؤون العامّة وبهذه الطّريقة يؤثّر الكاتب تأثيراً مباشراً في تسيير شّؤون الدّولة"² كثر في عهده الحديث عن التزام المثقف من منظور إيديولوجي ماركسي. لذلك رأى من واجبه أن يصحح هذا المفهوم الذي يجعل المثقف حبيساً للمادية التاريخية والجدلية ويحدد دوره مفكراً كان أو كاتباً أو فنّاناً بأن يكون في خدمة إنيتّه وأصالته وقيمه ومثله وأورد قولاً لـ "فيخته" يعزز به رأيه : "إنّ أقدس وظيفة وأنبل امتياز للكاتب هو جمع كلمة أمتّه وتوطيد وحدتها باللغة والكتابة وترابط أجزائها"³

1. نفس المرجع، ص. 495.

2. نفس المرجع، ص. 96.

3. نفس المرجع، ص. 96 و97.

وبناء على ما تقدم من كلام لـ "فيخته" يتوجه مولود قاسم إلى الكتاب الجزائريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية ناصحا لهم بضرورة تعلم لغتهم لا لإثراء تجارهم وتغذية مفاهيمهم وملكاقتهم بتلك الجذور الروحية القومية فحسب بل وللكتابة بلغتهم هذه في آجال معقولة وحتى يقتربوا بقدر الإمكان من الأصالة أي التعبير الحقيقي لشعبهم وأمتهم بلغتها¹.

9. فكر مولود قاسم التاريخي

وكان للتاريخ نصيب الأسد في مؤلفات مولود قاسم. ذلك أن التاريخ أحد العناصر الأساسية لشخصية أي بلد. ومن أهم مكونات ذاتية أمة من الأمم والعقد الذي تنسلك فيه جميع حلقات المقومات الثلاثة الأخرى (التي أكد عليها فيخته) لإنيتها وأصالتها التي هي الدين واللغة وحب الوطن. فالأمة بدون هذه المقومات الثلاثة لا شيء، وبها هي هي. ولذلك حاول مولود قاسم أن يحدد شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 تاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر. إن التاريخ كما يؤكد مولود قاسم هو "ذاكرة الأمم، فهو لها بمثابة العقل للأفراد" كما يقول "شوبنهاور" "يحب كالإنجيل ويُلقن للصغار ويُدرس للكبار بنفس التقديس والإجلال كما قال "فيخته"².

ويستشهد مولود قاسم بقول ابن باديس : "والنسبة للوطن توجب علم تاريخه"³. (فتدريس التاريخ لا يمكن أن يبلغ في قداسته مكانة الكتب السماوية ولكنه واجب شرعي كما وضع ابن باديس ووافق مولود قاسم).

1. نفس المرجع، ص. 97.

2. مولود قاسم، شخصية الجزائر الدولية، ج. 2، ص. 365.

3. نفس المرجع، ص. 365.

فكر مولود قاسم : أصوله الفلسفية...

ويوضح مولود قاسم أن الجزائر كانت دولة قبل الاحتلال الفرنسي لها مكانتها بين الأمم وهويتها الدولية وأنها لم تستقل سنة 1962 بل استرجعت استقلالها والجزائر كغيرها من الأمم يجب أن تعترف بتاريخها.¹

ثم يطرح مولود قاسم سؤالاً مهماً على "التروتسكيين" أصحاب "إيف لاکوست" الذي رسم معالم "أسلوب الإنتاج الآسيوي" فيما كتبه عن ابن خلدون فيقول مولود قاسم : "وهل لأمة أن تضرب صفحا عن تاريخها، وتمحو سجل وجودها كما لو نشأت من عدم. هكذا فجأة... كذلك "الجيل التلقائي" الذي يتندر به في تاريخ العلوم ؟" ومن هنا يدخل التراث ضمن عناصر شخصية الأمم كعنصر رابع "والتراث هو الآثار التاريخية والكتب والمخطوطات والعادات الصالحة والتقاليد والعرف العام ولهذا فالتاريخ ثم التاريخ ثم التاريخ يا أيها الشماخي. التاريخ يا شماخي!"²

10. موقفه من الاستعمار

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن مولود قاسم كان يتوجه بالذع النقد إلى الاستعمار وهو ما درج الناس على تسميته بالاستعمار واعتراه بأن مالك بن نبي كان على صواب عندما تحدّث عن القابلية للاستعمار التي يطلق عليها مولود قاسم "المركوبية" أو "المحتدية" ولم أستطع أن أفهم معنى هذا المصطلح مع ما يتضمنه من بذاءة وإذلال ودوس على الكرامة الإنسانية إلا بعد أن شاهدت ما شاهده من

1. نفس المرجع، ص. 351.

2. نفس المرجع، ص. 30 و31.

فضائح الاحتلال الأمريكي لـ "أفغانستان" و"أبو غريب" و"غوانتانامو" وفضائح الإنجليز أيضا.

إن ابن خلدون قد وسّع من مدارك مولود قاسم وجعله يكشف التزييف وتحريف الاستعمار الذي ادّعى أن الجزائر لم تكن دولة قبل احتلاله لها وأنه جاء بمهمة تحضيرية وتبشيرية. غير أن المقصود بالنشاط التبشيري كما ذكر ذلك "زويمر": "لدى المسلمين ليس أن نجعل منهم مسيحيين بالضرورة بل هدفنا بالدرجة الأولى هو أن نجعلهم مذبذبين وأن نزع عقيدتهم وأن نفقدتهم ثقتهم بأنفسهم وأن نضعف تمسكهم بدينهم ونشككهم في أصالتهم بحيث يصبحون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فنخسرهم الإسلام وإن لم نكسبهم نحن إلى المسيحية".¹

11. غاية فكره

ما المقصود إذن من وراء إقامة هذا النسق الفكري الهائل الذي أقامه مولود قاسم؟ المقصود به هو أن يعرف المسلم الجزائري والمسلم بصفة عامة من هو حتى لا يذوب في غيره.

وإذا تحرك أن يتحرك بثقة كبيرة في نفسه حتى لا يخشى الذوبان في الغير وحتى لا يعتزل عصره بدافع الاحتكاك وحتى لا يمتنع عن واجب التبليغ والشهادة على الناس شعورا منه بالنقص.

1. إنية وأصالة، ص. 456.

فكر مولود قاسم : أصوله الفلسفية...

ما المقصود كذلك من وراء معرفة التاريخ ومن وراء معرفة دور المفكر؟ وبشكل أوضح ما المقصود من وراء عقد ملتقيات الفكر الإسلامي؟ المقصود هو أن يعرف المسلم كيف يعيد بناء صرحه الحضاري لأداء مهمته التي تتمثل في صحوة الإنسان المسلم بعد نوم عميق وخمود طويل.

12. مهمة الصحوة ويقظة الفكر الإسلامي

إنّ معرفة التاريخ تربطه أكثر بجذوره ومعرفة دور المفكر ترشّد الصحوة وتزوّدّها بمنهجية الدّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

أمّا الغرض من وراء عقد ملتقيات الفكر الإسلاميّ فيتمثّل أساسا في توعية الشّباب بتاريخهم وقيمهم وحضارتهم وبأفضل الطّرق للاقتباس من الغير كما يتمثّل في الاحتكاك بالعلماء من مختلف المذاهب الإسلاميّة والديانات والثّقافات قصد تحصينهم ضدّ الشّبهات وتزويدهم بما يصحّ من المعلومات وتدريبهم على طرق النّقاش والجدال.

وتتمثّل مهمّة الصحوة ويقظة الفكر الإسلاميّ في نظر مولود قاسم فيما يلي :

- أن نعتّم بما في بيتنا أولا فنحصّنه ونضمّنه قبل أن نرنو بأنظارنا بعيدا. وبكلمة موجزة أن نمتنّ أساس الأمة ونعزّز بناءها.

- أن ندحض الأباطيل ونردّ المفتريات التي تبثها الأوساط الاستشراقية واليسارية المتطرّفة وغيرها التي تهدف إلى النيل من الإسلام والحيلولة دون إبانة وجهه الروحي والثقافي الصحيح.

- تزويدهم بثقافة واسعة، متنوّعة وشاملة ليخاطبوا شباب اليوم بلغته لغة العلم والتّفّتح.

- التّركيز على الشّباب والذهاب إليهم في أنديتهم.

- تأسيس جامعات إسلامية تراوح بين تدريس العلوم الشرعية والعلوم التجريبية.

- زيادة الاهتمام بالنّشر في المجلات والجرائد وإتقان استعمال أجهزة الإعلام وغيرها من وسائل التأثير على شرائح المجتمع.

- حضور معظم المحافل العلمية وتنظيم ملتقيات دورية للشّباب في العالم الإسلامي.

- أن يكون الدّعاة رعاة وعاة ودعاة سعاة : أن يكونوا عناصر حيّة ليس كغيرهم من النّاس في جهاز البلاد وجهاز الأمّة بل يكونون القدوة إننا قصرنا في دحض الأباطيل والمفتريات لأننا لا نعرف ديننا كما ينبغي ولا نعتني بدراسته وبدراسة واقعنا. أعداؤنا موحدون ضدنا ونحن مختلفون متفرقون لم نتمكن من إيجاد قاسم مشترك يجمعنا بل نهول ما يفرقنا ويكفر بعضنا بعضا إن دحض الأباطيل وصد مخططات الأعداء المنسقة يتطلب جهودا مضيئة يصحبها تصميم وتخطيط والتنسيق يشمل

جوانب الفكر الإنساني وحضارته وشرح الأوجه الروحية والاجتماعية والتشريعية والسياسية لدينا بنظرة علمية والقصد من وراء ذلك إقناع شبابنا الضائع أو المعرض للضياع بصلاحية دينه لكل زمان ومكان وصد الشبهات حتى لا تحجب نور الإسلام عن غير المسلمين وحتى المسلمين الذين لم يعتنقوه عن قناعة بل عن طريق الوراثة. ومن أحسن الوسائل بعد كل ما تقدم وبعد رد الشبهات التي كان يقوم بها علماء الكلام في القلم تأتي القدوة بصفقتها أحسن الوسائل وأنجعها وهي المثل الحسن من طرف الأفراد والأمة للأفراد والأمم والقدوة تجذب إلى الإسلام أفرادا آخرين ولا تكون القدوة بدون إرادة وبدون تضحية وبدون تصميم.¹

هل كانت الصحوة ودعاؤها كما رسم ذلك مولود قاسم نظريا وعمليا ؟ هل لبث الصحوة بعض أمنياته ؟ هل وقعت الصحوة في بعض الأشرار التي حذرنا من الوقوع فيها ؟ هل منعت مسؤولياته السياسية من التأثير كما يجب وبالشكل الذي كان يريده ؟ لو قدر له أن يعيش ما هي الانتقادات التي كان باستطاعته أن يوجهها للصحوة في السياق الدولي الراهن ؟ كيف كان يستطيع أن يرد على المعوقات الجديدة التي صدت الصحوة عن تحقيق الأهداف التي رسمت من طرف المنظرين. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾² ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾³.

1. نفس المرجع، ص. 399 إلى 413.

2. العنكبوت، 57.

3. الرعد، 11 .

13. نظرية وتطبيقها

وهكذا يتبين لنا أن مولود قاسم يلتقي مع فيخته في أهمية الدين ضمن مقومات الأمة كما التقى معه في أهمية اللغة وحب الوطن. فماهية الدين عند فيخته هي أن يؤمن الإنسان بالنظام الأخلاقي ويعتبره مصدر واجباته ويعاون على نموه. ونبينا صلى الله عليه وسلم قال من قبله : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"

من منبر مجلة الأصالة إلى معاهد التعليم الأصلي ومن ملتقيات الفكر الإسلامي ومن منابر الدعوة من مساجد القطر ومن ندوات المركز الثقافي الإسلامي ومن مؤسسة اللغة العربية الوليدة ومن الاحتكاك بالمفكرين المسلمين والمفكرين المهتمين بالفكر الإسلامي انطلقت الصّحوة الإسلامية تحت إشراف رجل صارم في تفكيره وصارم في تنظيمه لا يكلّ من العمل ومن طلب العلم رحمه الله وأدخله فسيح جنّاته. لقد توفي مولود قاسم رحمه الله وهو يردد للأجيال المقبلة مقولته المفضلة : "بأقدام راسخة على أساسنا الثابت فقط نستطيع أن نتطلع إلى آفاق أخرى ومع الانغراس في أصالتنا فحسب يمكن لنا بل يجب علينا أن نتفتح على مختلف ثقافات وحضارات العالم كما فعل أجدادنا من قبل وأنتجوا أخصب الثقافات وأرقى الحضارات وكما فعلت بالأمس وتفعل اليوم جميع الشعوب التي تعتبر ما تأخذه من الخارج بمثابة مكملات لأصولها وفروع لجذورها"¹.

1. مولود قاسم. أصالتنا، مجلة الأصالة، العدد 4، ص. 18.

لا نستطيع أن نغرس رؤوسنا في الرمال كما يفعل النعام ونتجاهل محيطنا الدولي ولا ينبغي لنا أن نطأطئ رؤوسنا لإملاءات تتعارض مع قناعاتنا وتفرض علينا بالإغراء أو بالقوة ولكن يجب علينا أن نقتبس من كل الأمم المحيطة بنا ما ينفعنا وما يتلاءم مع أصالتنا ويثريها ويكمل أصولها وجذورها.

ولنقتد بالأمم التي خطت خطوات عملاقة في ميدان الحضارة في بضع عقود من السنين كاليابان والصين والهند ولنقتد بأمم أخرى شتتها الحروب والتكتلات الإيديولوجية وجمعتها أصالتها الأوروبية المسيحية لتكون منها أمة أوروبية واحدة ذات عملة واحدة ودستور واحد وبرلمان واحد منتخب وهيئة تنفيذية واحدة ولنقتد بأمم أخذت ما لها بالقانون وتركت لحكامها ما لهم بصفتهم وكلاءها لا قياصرتها ولا أباطرتها.

الخاتمة

في ختام هذه الجولة يتضح أن المفكر مولود قاسم قد قام بدور مهم في رسم إينيتنا وأصالتنا بالرغم من السياق الدولي المزدوج الأقطاب الذي لا يرضى بذلك غير أن الملابس المستجدة سمحت بظهور رد فعل على القومية العربية كما حذر مولود قاسم نتمنى أن لا يؤدي إلى تقسيم الوطن.

وقام بدور يشكر عليه في الدفاع عن اللغة العربية عمليا ونظريا فأقنع وأنجز. ولكن اللغة تعرضت إلى ضغوط داخلية وخارجية أجبرتها على الخروج عن المسار الذي رسمه لها الوطنيون المخلصون لأن المستهدف الأساسي هو لغة القرآن تمهيدا لعودة لغة المحتل لتحتل مكانها من جديد في وطننا.

ترغم مولود قاسم بحب وطنه حتى قال : "إيه جزائر بني مزغنة وإيه جزائر إفريقيا! إني كلما تعمقت في تاريخك ازددت حبا وتعمقا وانغراسا فيك".¹ أتت "العولمة" فاجتاحت معها حب الوطن وظهر الإرهاب وظهرت تيارات تنادي بالتبعية المفضوحة أو المموهة ضمن ما يسمى بالشراكة الأورو-متوسطية والشرق الأوسط الكبير.

دعا إلى الإسلام بأسلوب جديد وأسس لتعليم العلوم الإسلامية في الثانوي والجامعة. فاجتاحت الدعوة إلى الإسلام إيديولوجية صراع الحضارات المستترة تحت قناع الديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية المعتقد ومحاربة الأصولية والإرهاب.

آمن بالأمة الإسلامية والأمة الجزائرية وانتشى بالياذة الجزائر التي قال فيها "مفدي زكريا" :

فيا أيها الناس هذه بلادني ومعبدي وحلمي فؤادي

رفعت هذه الأمة رأسها حتى عانقت عنان السماء ثم تكالب عليها الأعداء من الداخل والخارج بغرض إذلال الأمة الإسلامية كلها واحتقارها ويكفي أن نذكر بحروب الإبادة في البوسنة وكوسوفا والشيستان وشعب فلسطين والعراق ويكفي إذلالا ما جرى في أبو غريب و"غوانتنامو" و"باغرام".

بين لنا الصورة المشرقة للإسلام دين العدالة والحرية والديمقراطية. الدين الذي يجمع بين الناس ويؤلف بين قلوبهم فجاءت العولمة وألصقت الإرهاب عنوة بالإسلام وألصقت به الخرافات وبدأت تتهدد إنيتنا وأصالتنا باسم الانفتاح الذي لا يترك السقوف ولا الرفوف.

1. مولود قاسم، شخصية الجزائر الدولية، ج. 2، ص. 350.

دعا إلى الاعتناء بتكوين الدعاة ورسم برنامجا لذلك يجب أن يكمل هذا البرنامج في إطار ما استجد في عصر المعلوماتية والإنترنت من مستجدات.

آمن بالصحة وأسس لها وأرسى قواعد الحوار بين دعاها فتحوّلت إلى غفوة حتى لا نقول بأنها اغتيلت لأن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

دعا إلى تربية دينية كما دعا إلى ذلك من قبله "فيخته" فجاءت العولمة لتعرض على المربين باسم مصالحها الاستراتيجية وباسم حربها الصليبية وباسم خلطها بين الإسلام والإرهاب.

دعا إلى دخول المسلمين إلى عصر التاريخ وعصر الحضارة من أوسع الأبواب فأنت العولمة لترسم لنا حدود تحرّكنا ولتقول لنا ضمن هذه الحدود تحرّكوا أو لا تتحرّكوا.

ضمن هذا السياق التاريخي الجديد يجب علينا صياغة الإنية والأصالة مع التفتح والمعاصرة فنقول إذا كنا ننكر أن يكون للإرهاب صلة بالإسلام فلا ينبغي لنا أن نخشى إرهاب العولمة إذ لا تنشر الديمقراطية والحرية والنصرانية المتصهينة بالقوة ولا بالإغراء فإننا متمسكون بآبائنا وأصالتنا وفتحنا ومعاصرتنا لا نأبه بالإرهاب ولا نخشى العولمة كما لا نخشى الحوار.

لذلك نؤكد على ما يلي :

- الإنية والأصالة والتفتح على ما هو إنساني في الحضارة الغربية ونتمسك بالحوار بين الحضارات لأن الصراع لا يولد إلا الحقد، وبطش الجبابرة لا يخلف إلا الدمار والخراب.

- لغة الإسلام ولغة القرآن لأنها لغتنا.
- حب الوطن وحب الأمة الإسلامية حاضنة القوميات والأقليات الدينية.
- وحدة الأمة والحوار بين أبنائها.
- تكوين الدعاة لعصر العولمة والإنترنت والمعلوماتية وتوجيه الدعوة إلى الشباب مع إعطاء دور أكبر للعلماء ومع إدراك كون الحوار بالتي هي أحسن هو سلاحنا الوحيد.
- دراسة تاريخنا واستخلاص العبر الضرورية منه لمواجهة الملمات والأزمات.
- التغاضي عما يفرق بيننا واحترام الفوارق والتأكيد على ما يجمعنا.
- الاهتمام بالتربية الدينية دون غلو أو تحريف أو تزييف.
- حاولت أن أحيط بما أوصلني إليه اجتهادي من جوانب فكر مولود قاسم التي لها علاقة بالفلسفتين الإسلامية والغربية ومن عبقريته في استخلاص ما يتلاءم منها مع الإنية والأصالة والمعاصرة والتفتح على الفكر البشري دون جمود أو انغلاق وأملّي أن لا أكون قد قصرت في تصويرها بكل نزاهة وموضوعية كما يليق بمقامه وسمو فكره ولكم مني أسمى آيات الشكر على حسن الانتباه وللمنظمين على الدعوة وكرم الوفادة والسلام عليكم.